جئت إلى حافة الأبدية حيث لا شيء يغني ... لا الأمل ولا السعادة ولا وجهك وهو يتراءى من خلال العبرات

أوه ، أغمس حياتي الخاوية في هذا الخضم ، وأغمرها في أعماق الكمال ثم دعني استشعر — مرة واحدة — اللذة المفقودة في لمسة من لمسات خلود العالم

— ٨٧ —

يا إله المعبد الخرب ! قد انقطعت أوتار القيثارة التي أوقع عليها لحن الثناء عليك ، والنواقيس — في سكون الليل — لا تعلن عن ميعاد الصلاة لك ؛ والهواء حواليك ساكن هادىء

لقد هبت نسمات الربيع في مسكنك الخالي وفي عطفيها سيل من الزهور ... الزهور التي لا تقدم إلا في أوقات عبادتك

وعبدك ، عابر السبيل ؛ ما يزال يلحف ، يطلب بعض رحمتك فما ينال شيئاً ، وفي الغسق ، حين تختلط النار والظلماء بما على الأرض من كآبة وعبوس ، يرتد هو إلى معبدك الخرب وفي قلبه الظمأ

يا إلهه المعبد الخرب ! كم من عبد يقبل إليك في صمت ! وكم من ليلة من ليالي التهجد تدبر وفي أضعافها سراج منطفىء !

وكم من صورة جميلة زوقتها يد الفن الخادع ثم هي تندفع في مجرى النسيان المقدس حين يأتي عليها الزمن

ولكن إله المعبد الخرب ما يبرح في منأى عن العبادة في إهمال مروع

— ٨٨ —

لا صخب ولا صياح ... تلك مشيئة سيدي ؛ لذلك سأتحدث في همس ، وسيكون صوت قلبي دندنة فيها نغم لحن

إن الناس يشتدون إلى سوق الملك ، وهناك البيّعان ؛ غير أني رجعت قبل أن يحين وقت الانصراف ... غادرت السوق عند الظهر وهو ما يزال يموج بالناس

إذن دع الأزهار تتفتح في حديقتي وإن لم يكن قد آن أوانها ، وأرسل النحل في الهاجرة يطن طنينه الضعيف

لقد قضيت ساعات طوالاً في صراع حادّ بين الفضيلة والرذيلة ؛ والآن ها هو رفيقي يريدني على أن ألقي بقلبي بين يديه ؛ وأنا لا أدري ، لعلما أراد أن يدفعني إلى ما لا خير فيه

كامل محمود حبيب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٤٥ — لعبة الدبوق

في (نثار الأزهار) لابن منظور : الدَّبُّوق [1] كرة شعر ترمى في الهواء ، ثم يتلقاها الغلام ضارباً لها تارة بصدر قدمه ، وتارة بالصفح الأيمن من ساقه اليمنى ، راداً إياها إلى العلو على الدوام . ومن بديع التشبيه قول الأرّجاني في غلام يلعب بالدبوق :

يهتز مثل الصعدة السمراء
فقدُّه من شدة التواء
كالغصن تحت العاصف الهوجاء
تراه من تمدد الأعضاء
كأنه كواكب الجوزاء

٣٤٦ — انما رغبتنا في العفاف

في (كنايات الأدباء) لأحمد بن الجرجاني الثقفي : من كناية العامة : إذا قال أحدهم : سلامتها خير من كل شيء . فقد ولدت امرأته اثنين في بطن ...

وإذا قال : انما رغبتنا في العفاف . فقد تزوج قبيحة فقيرة ...

وإذا قال : لقمة البيت أطيب من كل شيء . فقد فاتته دعوة

وإذا قال : وما شهدنا إلا بما علمنا . فقد ردت شهادته في حق من شهد له ...

وإذا قال : ما بحلال الله من باس فقد تزوجت أمه ...

٣٤٧ — الاقتصار ، البخل

في شرح النهج لابن أبي الحديد : الفرق بين الاقتصاد [2] والبخل أن الاقتصاد تمسك الانسان بما في يده خوفاً على حربته وجاهه من المسئلة ، فهو يضع الشيء موضعه ، ويصبر عما لا تدعو ضرورة إليه ، ويصل صغير بره بعظيم بشره ، ولا يستكثر من

(١) الدبوق كتنور لعبة يلعب بها الصبيان معروفة (التاج)

(٢) ما عال من اقتصد ولا يعيل أي ما افتقر من لا يسرف في الانفاق ولا يقتر (النهاية) واقتصد فعل لازم

المودات خوفاً من فرط الاجحاف به[١] ، والبخيل لا يكافىء على ما يسدى إليه[٢] ، ويمنع أيضاً اليسير من استحق الكثير ، ويصبر لصغير ما يجرى عليه على كثير من الذلة[٣]

٣٤٨ — دع أيهما شئت وخذ الآخر

فى (الأغانى) : قال على بن عبد الله الجعفرى[٤] مرت بى امرأة فى الطواف وأنا جالس أنشد صديقاً لى هذا البيت :

أهوى هوى الدين واللذات تعجبنى
فكيف لى بهوى اللذات والدين ؟

فالتفتت المرأة إلىّ وقالت : دع أيهما شئت ، وخذ الآخر ..

٣٤٩ — ١٤ يوماً ... !

فى (شـذرات الذهب) : حكى غير واحد أنه وجد بخط الناصر[٥] (الأموى) أيام السرور التى صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا ، من سنة كذا ، ويوم كذا من كذا ، وعدت تلك الأيام فكان فيها أربعة عشر يوماً ... !

٣٥٠ — نسب بين حيطان

قال رجل لعبد الملك بن الزيات : أُمتُّ إليكم بجوارى
فقال : نسب بين حيطان ...
نظم ذلك بعضهم فقال :

أرى الجوار نسباً بين الجدر
والعطف والرقة حيناً والنظر
طباع نسوان وصبيان غرر[١]

٣٥١ — ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة

فى (وفيات الأعيان) : كان الأمير قرواش[٢] بن المقلد (صاحب الموصل والكوفة والانبار) كريماً وهاباً ذهاباً ، جارياً على سنن العرب[٣] ، نقل عنه أنه جمع بين أختين فى النكاح فلامته العرب على ذلك

فقال : خبّرونى ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة[٤] ؟ ..

٣٥٢ — النرجس

لما قدم على بن سعيد المغربى المؤرخ مصر المحروسة صنع له أدباؤها وليمة فى بعض متنزهاتها[٥] ، وانتهوا إلى روض نرجس[٦] فجعل أبو الحسين الجزار يطأ عيون النرجس برجليه ، فأنشده ناصر الدين حسن بن النقيب :

ياواطىء النرجس ، ما تستحى أن تطأ الأعين بالأرجل[٧]

فتهافتوا على هذا البيت وراموا إجازته فقال ابن أبى الأصبع :

فقال : دعنى لم أزل محنقا على لحاظ الرشأ الأكحل

وكان أمثلَ ماحضرهم ، ثم أبوا أن يجيزه غير ابن سعيد فقال :

قابل جفونا بجفون ولا تبتذل الأرفع بالأسفل

---

(١) الغرة : الغفلة وقلة الفطنة والتجربة ، وهو غر وغر (وجمع هذا أغرار وغرار ككتاب) وغرير (وجمعه أغرة وأغرة) والأنثى غر وغرة وذلك الجمع (غرر) فى بيت الراجز لم تفيده كتب اللغة — التى بين يدي — وكم فات ، كم فات هذه المعجمات ...

(٢) ابن خلكان : قرواش بكسر القاف وسكون الراء : فعوال من القرش : الكسب وفى النجوم الزاهرة : قرواش بفتح القاف ومعناه باللغة التركية عبد أسود . وفى (الذيل) من شعره :

لله در الغانيات فانها صيد اللئام وصيقل الأحرار

(٣) يريد البدو ، وقد تورط ابن خلكان فى هذا المعنى تورط ابن خلدون . العرب هذا الجيل الخاص سكان المدن والقرى (الكليات) وفى (تهذيب الأزهرى) وجل عربى وجمعه العرب ، والأعرابى البدوى والاعرابى إذا قيل له يا عربى فرح بذلك وهش له ، والعربى إذا قيل له يا أعرابى غضب له (رواه اللسان)

(٤) فى (النجوم الزاهرة) بعده . فهذا من ذلك . فى (الوفيات) : كان قرواش يقول ما فى رقبتى غير خمسة أو ستة من أهل البادية قتلتهم وأما الحاضرة فما يعبأ الله بهم

(٥) المتنزه — مثل المتنزه — فى نثرهم وشعرهم منذ القرن الثالث كثير ، وفى (النفح) لحميد بن مالك فى دمشق :

فكلها بمجال الطرف متنزه وكلهم لصروف الدهر أقران

(٦) بالفتح والكسر وهو دخيل والكسر أحسن إذا أعرب (اللسان)

(٧) حذفت همزة الاستفهام ، فى المغنى : الأخفش يقيس ذلك عند أمن اللبس

---

(١) تكليفه مالا يطاق ، افقاره وذهاب ماله

(٢) أسدى إليه : أحسن (التاج) أسدى إليه معروفاً اتخذه عنده (المصباح) وفى هذا العصر يقول بعضهم : أسدى إليه شكراً ...!

(٣) فى (الكلم الروحانية) : أفلاطون : البخل يحسن للرفيع التواضع وللنبيه الخمول ، وللوصول الوحشة والتفرد ، ويجب إليه أن يكون رعية بعد أن كان راعياً خوفاً من غلظ المؤن عليه ، والسخاء فى عند هذه الحال والاعتدال أخذ بأحسن ما فيهما

(٤) هو صاحب الأبيات المشهورة . (وقف الهوى بى حيث أنت الخ وقد عزاها أبو تمام فى (حماسته) إلى أبى الشيص الخزاعى (محمد بن عبد الله) وعزاها الأصبهانى إلى على بن عبد الله هذا

(٥) عبد الرحمن بن محمد كانت ولايته من الغريب لأنه كان شاباً وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى إليها واحتازها دونهم ، ووجد الأندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين ، فأطفأ تلك النيران ، واستترك أهل العصيان ، واستقامت له الأندلس فى سائر جهاتها بعد عشرين سنة من أيامه ، ودامت أيامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك الناحية ، وهو أول من تسمى منهم بالأندلس بأمير المؤمنين (النفح)